Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالطباق الحادث بين السواد والبياض ينغمس فى لون آخر هو « التصوير » والبياض يسرع فى السواد وينتشر فيه .

ولم يكن استخدام أبى تمام للطباق وحده بهذه الطريقة الجديدة التى كانت نتاج عقل استوعب كثيراً من ثقافة العصر وحضارته . فقد كانت له طريقته الجديدة كذلك فى استخدام الجناس ، وهـذا اللون لم يخترعـه الشاعـر من فراغ ، ولكنه وجده كما وجد غيره من الأدوات الفنية ، وكأنى به أراد أن تكون له طريقته المتفردة بين الشعراء ، ولذلك نجده تارة يعمد إلى إدخال الجناس فى التصوير أو يحيطه بجو من الغموض الفنى . فقد أدرك الشاعر ما فى الجناس من التناسب الذى هو أحد عناصر الجمال ، كما أدرك تلك « المخاتلة » التى عبّـر عنها أرسـطو ، وهى أن يوهم المجـانس بإعـادة المعنى ، ولا نلبث أن نكتشف أنه يعطى معنى جديداً ، وهذا وجه آخر من أوجه الجمال ، يضاف إلى ذلك كله ما يقيم الشاعر من علاقات جديدة بين الكلمات ، مما يعد إثراء للغة ، وحسبنا أن ننظر فى مقدمة إحدى قصائده فى مدح محمد بن عبد الملك الزيات وهو يقول :

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهليَّـةِ الحَيِّ ذَاهِـلُ ... وقَلْبُـكَ مِنهـا مُـذَّةَ الـدَّهْـرِ آهِـلُ
تُطِلُّ الطُّلولُ الدَّمْعَ فى كـلِّ مَوْقِفٍ ... وتَمْثُـلُ بـالصَّبْـرِ الـدِّيَـارُ المَـوَاثِـلُ
دَوارسُ لَمْ يَجْفُ الـرَّبيـعُ رُبُـوعَهـا ... ولا مَـرَّ فى أَغفَـالِهـا وهْـوَ غَـافِـلُ
فَقَـدْ سَحبَتْ فيها السَّحـائِبُ ذَيْلَها ... وقَـدْ أُخْمِلَتْ بالنَّـوْرِ فيها الخَمَـائِلُ
تَعَفَّـيْنَ مِنْ زَادِ العُفَـاةِ إذا انتَحَى ... على الحَيِّ صَرْفُ الأَزْمَـةِ المُتَحامِـلُ
لَهُمْ سَلَفٌ سُمْـرُ العَـوَالِى وسَـامِـرٌ ... وفيهمْ جَمَالٌ لا يَغيضُ وجَامِلُ(١٠٤)

فلا يكاد يخلو بيت من الأبيـات من جناس ؛ ففى هـذه الأبيات نجـد المجانسة بين ذاهل وآهل ، وبين تطل والطلول ، وتمثل والمواثل ، والربيـع والربوع ، وأغفال وغافل إلى غير ذلك كما هو واضح فى الأبيات . كما نلاحظ فى الأبيـات الاستعمالات المجـازية مثـل : تطل الـطلول ، وسحبت فيهـا السحائب .

---

(١٠٤) ديوان أبى تمام ٣ : ١١٢ ــ ١١٤ .